

56 عاما على رحيل شاعر الأنهار المتدفقة دائما

كيف حوّل السياب بويب من جدول مائي صغير إلى نهر ورمز شعري



تزامن يوم الرابع والعشرين من ديسمبر الجاري مع مرور الذكرى الـ 56 لرحيل الشاعر العراقي والعربي بدر شاكر السياب الذي غادر عالمنا عام 1964، وهو الذي يعتبر أحد أبرز شعراء الحداثة. وما زالت تجربته الشعرية مقصدا للباحثين والنقاد الذين يحاولون دراسة مراحل نشأته وارتباطه الوثيق بمسقط رأسه، ما جعل من مكوناته الجغرافية المحيطة للسياب "الإنسان" جزءا لا يتجزأ من إبداعه الشعري.

عواد علي
كاتب عراقي

تخلل غابات النخيل المحيطة بقرية جي محور في قضاء أبي الخصب بالبصرة، التي ولد فيها الشاعر العراقي بدر شاكر السياب (1926-1964)، جدول مائية فوقها معابر صغيرة من جنوع النخل. وحين يرفع المد مستوى شط العرب تمتلئ هذه الجداول، ثم لا تلبث عند الجزر أن يجري ماؤها عائدا إليه. وهي أجمل مشاهد القرية، ولا تضاهيها إلا اجاذبية شط العرب نفسه. ومن هذه الجداول واحد اسمه بويب عرضه متران، ويستخدم ماؤه من جدول أكبر منه اسمه جي محور. ويمر بويب في قطاع من القرية اسمه بقيق حيث منازل عائلة السياب وأراضيها.

وقد خلد الشاعر هذا الجدول في شعره، متخيلا إياه نهرا، وحوّله إلى صورة تؤدّي دورا مهما في تشكيل العديد من قصائده، عبر به عن الخصب والحياة، وجعله رمزا شخصيا وضعه في نقطة تقابل كل ما يوحي إلى الجذب والعدم.

هرب من الأوجاع

في قصيدة "نهر العذارى" يصور السياب ما يجري فيه، متخذا منه وسيلة لنقل رؤاه وأفكاره من دون وجود علاقة تربطها بهذا النهر، سوى المتعلق أو المتحقق المادي، أي أن علاقة السياب الشعرية تتحد بالنهـر من خلال كونه ملتقى للعذارى، وحبيبته إحداهن.

وهنا نجد أن النهر لم تكن له أي قيمة معنوية، وحتى قيمته الحسية يستمدّها من خارجه، أي من خلال العذارى وأشعة الشمس، وما يحيط به من جمال الطبيعة ومناظرها.

لكن السياب استطاع أن يلبس أفكاره ومشاعره الإنسانية من الحبيبة في صور حسية كان النهر مسرحا لها، فهو يبدوها "يا نهر، لولا مُنْخَنَات وما يتسابك من فروع ما كانت البسمات في عيني تطفأ بالدموع". وفي قصيدة "مرحى غيلان" يرتقي النهر من كونه

النهر سر الحياة

في قصيدة "النهر والموت" يهدف السياب، كما تقول سلمى الخضراء الجيوسي، "إلى تغيير كيمياء الموت بأن يغرق المرء في دمه ليعتد الحياة من جديد، حيث تستضيء بالنجوم والقمر مياه وأشجار مخضرة بالخضرة والحياة".

بالمحور يهيم بالخزير، يصل حولي

أنا في قرار بويب أرقد في فراش

من رماله

من طينه المعطور، والدم من عروقي

في زلاله

ينثال كي يهب الحياة لكل أعراف النخيل

أنا بعل: أخطر في الجليل..

على المياه، أنت في الورقات وروحي

والشار

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد

انتقل من صورة مالوفة إلى حسية

بويب

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد

انتقل من صورة مالوفة إلى حسية

بويب

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد

انتقل من صورة مالوفة إلى حسية

بويب

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد

انتقل من صورة مالوفة إلى حسية

بويب

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد

انتقل من صورة مالوفة إلى حسية

بويب

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد

انتقل من صورة مالوفة إلى حسية

بويب

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد

انتقل من صورة مالوفة إلى حسية

بويب

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد

انتقل من صورة مالوفة إلى حسية

بويب

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد

انتقل من صورة مالوفة إلى حسية

بويب

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد

انتقل من صورة مالوفة إلى حسية

بويب

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتنضج الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب.. يا بويب"

فيدلهم في دمي حنين

إليك يا بويب

يا نهرى الحزين كالمر

بغدو بويب في هذه القصيدة رمزا

كاملا، إذ يتخلص من معظم العلائق

المادية والتصورات الخارجية، ويشع

بصوره ودلالاته من دون مشاركة

خارجية، ويستمد قيمته المعنوية

من داخله، إذ استقل استقلالاً تاماً،

وأصبحت العلاقة التي تربطه بالأشياء

التي يومي إليها ليست علاقة متشابهة،

بل هي علاقة داخلية وُحدت بين بويب

وما يشير إليه، وبهذا يكون بويب قد